

مبتكر «الكاسيت» الذي خلق عالما من المتعة والخطر

لو أوتينز

مهندس هولندي شغوف بالأصوات غير حياتنا



● أول «شريط كاسيت» هو ذلك الذي صنعه أوتينز من الخشب بحجم مناسب لقياس الجيب الداخلي لسرتة بذلته، قبل أن تشهد العاصمة الألمانية عرضه لأول منتج متطور من هذا النوع في التاريخ عام 1961.



● شريط أوتينز يعود الفضل في اكتساحه للعالم إلى بساطته وخفة وزنه وسعره الزهيد إضافة إلى الخصوصية التي يمنحها، لذلك انتشر بشكل واسع في البيوت والمدارس والجامعات والمعامل وبين الفقراء والأغنياء على حد سواء.

البيوت والمكاتب، ويات الشريك الثالث لكل عاشقين، ورسول المغنين والموسيقيين والإساتذة، ومعهم كان أيضا يحمل الشرور.

نسبة كبيرة من التأثير السلبي لانتهار الكاسيت تعود إلى المحتوى المسجل عليه، وكان ذلك يرتبط باستخدام الابتكار البريء في نقل تعليمات متطرفة تسببت في خلق أجيال من المغيبيين في العالم، لاسيما العالم الثالث، حين أصبح شريط الكاسيت بديلا عن خطيب الجمعة والإمام وقائد التنظيم المتطرف. وكثيرا ما سُنتت الأجهزة الأمنية في الدول حملات لمصادرة أشرطة كاسيت سجلت عليها دروس القتل وسفك الدماء وكافة صور التشدد. لكن أوتينز كان يقول دوماً «أعتقد أن الناس يسمعون بشكل أساسي ما يريدون سماعه».

لقد خلق أوتينز عالما جديدا باختراعه ذلك. عالم لا مفر فيه من حرية تداول الصوت، وفي الوقت ذاته لا بد من دفع الضريبة. عالم احتاج منذ تلك اللحظة إلى قوانين تنظم التداول الحر للصوت، وحفظ حقوق الملكية والحقوق الأخرى المرتبطة بأمن المجتمع والتعليم والتوعية والتربية.

عقل أوتينز المبدع لم يتوقف عند شريط الكاسيت، فقد أشرف أيضا في العام 1972 على خلق ابتكار جديد بيعت منه 200 مليار نسخة حتى الآن؛ إنه القرص المضغوط «سي دي». الذي قال عنه أوتينز «لا شيء يضاهي صوت القرص المضغوط. إنه بلا ضوضاء وخال من الدممة، لم يكن بوسعنا الوصول إلى صوت كهذا عبر شريط الكاسيت».

لماذا يعود شريط الكاسيت اليوم متزامنا مع غياب والده أوتينز؟ لا يبدو الجواب صعبا، فالسبب المباشر هو الهروب من الرقابة التي تفرضها معايير الديجيتال والقيمة والسرية والكثير من الاعتبارات التي قد لا تظهر أثارها الآن. النجمة أريانا غراندي عادت إلى شريط الكاسيت وعاد معها آخرون. والإحصاءات تقول إن الشباب من سن دون الخامسة والثلاثين هم من يقودون هذا التوجه. ويشك بأن الحنين وحده هو السبب، بل التمرّد على قوانين الديجيتال التي قيدت الجميع على ما يبدو.

رغم كل ما فعله من تغيير، سمح أوتينز للعالم باستعمال ابتكاره، وتنازل عن مستحقات الترخيص الخاص به، قال إنه لم يكن يريد أن يعيق رحلة ابتكار جودة الصوت التي يحتاجها البشر.



تغيير أوتينز لطريقة استهلاك البشر للصوت المسجل التي كانت معقدة في الماضي، أحدث ثورة كبرى، إذ كان لا بد من جلسة خاصة أو موضع مرتب مسبقا، لكي تتمكن من الإصغاء إلى الأغنية التي تحب. أما بعده فقد بات الأمر أكثر سهولة وحميمية

السكان، وكنت لا ترى في بعض القرى سوى راديو واحد غالبا ما كان يوجد في المقهى.

المحاضرات العلمية، وسائل التجسس، الوثائق، كل ذلك كان صعبا جدا وبالتالي فعدد البشر الذين يتداولونه سيبقى محدودا. مع ابتكار أوتينز تغير ذلك كله، ويات الصوت ملصقا للجمع، تأمين ميكرو للأثر الإنساني المسجل، وتحرير له من قيود الملكية الأزلي.

لم يكن استعمال شريط الكاسيت متوقفا على ما تشتريه من السوق، من أغان وموسيقى ودروس وغير ذلك، بل إن الابتكار مكّنك من تسجيل صوتك أيضا، بسهولة ويسر وحرية. ويات من السهل عليك أن ترسل رسائل صوتية، تسجلها على شريط كاسيت وتضعه في ظرف محكم وترسله مع ساعي البريد وسيصل بعد أن يستغرق بضعة أسابيع وربما شهورا، لكنه سيصل في النهاية إلى من تريده أن يستمع إلى صوتك. اليوم ضغطت زر واحدة على تطبيق واتس أب وغيره، بوسعها أن توصل رسالتك الصوتية بعد أقل من ثانية واحدة. فكم تغير العالم منذ تلك اللحظة؟

غزو العالم

أكثر من 100 مليار شريط كاسيت بيعت حول العالم، واجتاح هذا الكائن الصغير غرف

كان أول «شريط كاسيت» صنعه أوتينز خشبيا بحجم مناسب لقياس الجيب الداخلي لسرتة بذلته. ومع فريقه المكون من زمينة من الخبراء الذين كانوا من مختلف الاختصاصات، من مصممين ومطورين، شهدت العاصمة الألمانية عرض أول منتج من هذا النوع في التاريخ عام 1961.

والغريب أن الاختراع الجديد لم يثر انتباه المستهلكين في البداية، لم يكثر به أحد بالأحرى. لكن اليابانيين في العيد التقطوا الفكرة وصنعوا شريطهم غير أنه كان بحجم كبير. ولم تقرب الستينات من نهايتها إلا وكان الطلب يتزايد على نظام أوتينز، فكان له الفضل الأكبر في نمو شركة فيليبس من جديد. فاصبح فريق أوتينز الذي بدأ بـ 12 شخصا قرابة 5 آلاف موظف.

اكتسح شريط أوتينز العالم، وكان لبساطته وخفة وزنه وسعره الزهيد دور كبير في انتشاره الواسع في البيوت والمدارس والمعامل والجامعات وفي كل مكان تقريبا.

في الواقع كان هذا هو السؤال الذي لم يطرحه أوتينز، هو فقط كان منزعجا من الأسطوانات والبكرات، فقرر تقديم الأفضل لكن طريقة الاستهلاك للمنتج الصوتي هي الموضوع الذي استهدفه ابتكاره العبقري.

كيف تستملك الصوت؟

كانت طريقة استهلاك الصوت المسجل مختلفة في الماضي، وكان لا بد من جلسة خاصة أو موضع مرتب مسبقا، لكي تتمكن من الإصغاء إلى الأغنية التي تحب، أو ليكون بوسعك أن ترقص على موسيقى كلاسيكية تعلقت بها.

وحين كنت تريد أن تتابع أحد الزعماء السياسيين أو المفكرين وهو يلقي خطابا هاما له، كان عليك أن تهين مكانا واسعا وتحضر تجهيزات معقدة، لاسيما وأن البث المباشر كان محدودا آنذاك، سواء كان بالصوت أو الصورة.

مشروع جوزيف غوبلز وزير الدعاية النازية للتحكم في الرأي العام الألماني وحده تطلب منه تحويل المصانع التكنولوجية للانخراط في خط إنتاج ينتج مليون مذياع في السنة، كان الرقم قليلا جدا لقياس بعدد

ولد أوتينز أواسط العشرينات في بيلينغ فولده في هولندا، وكان العصر مضطربا، صعود النازية التدريجي الذي اجتاح أوروبا وبلادها في المقدمة، ثم الحرب الكبرى التي أتت على الأخضر واليابس.

كان في سن المراهقة آنذاك، فدفعته حاجته إلى المعرفة ورفضه للحياة الرهيبة التي فرضتها النازية على المناطق التي تهيم عليها، إلى ابتكار جهاز يمكنه من التقاط بث إذاعة «هولندا الحرة» التي كانت الماكينة الألمانية النازية تشوش عليها.

وحين وضعت الحرب أوزارها بات أوتينز قادرا على مواصلة دراسته في الجامعة، فدرس الهندسة الميكانيكية، وعمل أثناء دراسته في مصنع لتكنولوجيا الأشعة السينية. بعد تخرجه مطع الخمسينات، التحق بشركة «فيليبس»، وانتقل مع الشركة إلى مقرها بهاسيل في بلجيكا، وكان ذلك الفرع من فيليبس معنيا بإنتاج المعدات الصوتية، الأسطوانات وأجهزة التسجيل ولواقط ومكبرات الصوت.

وحتى ذلك الحين، نهاية العقد، لم يكن العالم يعرف شيئا عما يدور في رأس أوتينز حول آلة الصوت وضجيره من الوزن الثقيل والحجم الكبير للأسطوانات، ولكن بوصوله المبكر إلى منصب رئيس قسم تطوير المنتجات في الشركة، قاد مشروع تطوير أو مسجل صوت محمول يعمل بتقنية الشرائط. وكان طرازه «إي إل 3585» الضربة الأولى نجحت، وبعثت الشركة مليون قطعة من جهاز أوتينز.

المشروع فتح شهية أوتينز على المزيد. فما الغرض من جهاز متنقل ما دام اللوح الصوتي سيبقى ضخما هكذا؟ باشتر بيرنامج لابتكار ما سماه «مسجل الجيب». وكانت المواصفات التي وضعها لتحديات أمامه، أن يكون الجهاز رخيصا وصغير الحجم، وبطارية تدوم أكثر مع محافظته على جودة الصوت. وحتى تتحقق هذه الشروط كان لا بد من تقليص حجم اللوح الصوتي.



● أكثر من 100 مليار شريط كاسيت بيعت حول العالم، واليوم يعود جيل الشباب ما دون سن الخامسة والثلاثين إلى الابتكار القديم، بدافع الحنين والتمرّد.